شبهة القول بالإعجاز بالصرفة والإعجاز العددي

ذهب إلى هذا النوع من الإعجاز طائفة من المعتزلة وبعض المعاصرين الذين تأثروا بالمدرسة العقلية في الصفات والكلام، قالوا: إنَّ الإعجاز في القرآن إنما هو بصرف البشر عن معارضته، وإلا فالعرب قادرون على معارضته، لكنهم صُرِفُوا عن معارضته، فهذا الصرف هو بقدرة الله عز وجل، لا يمكن ﷻ، أن يصرفهم جميعاً عن معارضته. وهذا الصرف لابد أن يكون من قوة تَمْلِكُ هؤلاء جميعا وهي قوة الله عز وجل. وأول من قال بها: إبراهيم بن سيار النّظّام.

وهذا القول ينقض بدليلين مهمين:

١- الدليل الأول سمعي نقلي من القرآن:

فهو قوله ﷻ:﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، فالله عز وجل أَثْبَتَ أَنَّ الإنس والجن لو اجتمعت على أنْ تأتي بمثل هذا القرآن وصار بعضهم لبعض مُعيناً في الإتيان بمثل هذا القرآن إنهم لن يأتوا بمثله، وهذا إثبات لقدرتهم على ذلك؛ لأنَّ اجتماعهم مع سلب القدرة عنهم بمنزلة اجتماع الأموات لتحصيل شيء من الأشياء. لكنهم سيعجزون مع قُدَرِتهم التي ستجتمع وسيكون بعضهم لبعض معيناً على المعارضة، وهذه الآية هي التي احتج بها المعتزلة على إعجاز القرآن، ففيها الدليل ضدهم على بطلان الصَّرْفَةْ.

٢- أما الدليل الثاني وهو الدليل العقلي: أنَّ الأمة أجمعت من جميع الفرق والمذاهب أنَّ الإعجاز يُنْسَبْ ويضاف إلى القرآن ولا يضاف إلى الله عز وجل، فلا يقال إعجاز الله بالقرآن، وإنما يقال باتفاق الجميع وبلا خلاف هو إعجاز القرآن.

فإضافة الإعجاز إلى القرآن تدل على أنَّ القرآن مُعْجِزٌ في نفسه، وليس الإعجاز من الله بصفة القدرة. لأننا لو قلنا الإعجاز إعجاز الله بقدرته الناس عن الإتيان بمثل هذا القرآن، فيكون الإعجاز بأمر خارج عن القرآن. فلما أجمعت الأمة من جميع الفئات والمذاهب على أنّ الإعجاز وصْفٌ للقرآن علمنا بُطلان أن يكون الإعجاز صفة لقدرة الله عز وجل؛ لأنَّ من قال بالصرفة بأنَّ الله سلبهم القدرة هذا راجِعٌ إلى صفة القدرة وهذه صفة ربوبية. وهذا لاشك أنه دليل قوي في إبطال قول هؤلاء.

لهذا المعتزلة المتأخرون ذهبوا على خلاف قول المتقدمين في الإعجاز بالصرفة؛ لأنَّ قولهم لا يستقيم لا نقلاً ولا عقلاً. **وللعلماء ردود أخرى على القول بالصرفة منها:**

١- لو جازت الصرفة لما كان هناك تفاوت بين كلام وكلام وقوق وقول وكاتب وكاتب وشاعر وشاعر ولصح لكل ناطق ان يباري في كلامه الخطب البليغة والرسائل الفريدة والمعلقات الخالدة وهذا غير سائغ.

٢- لو جازت الصرفة حين نزول القرآن لما جاز الصرف قبل نزوله كون الجاهلية لم يتحدوه فبطل القول بالصرفة، أو أن يخرجوا لنا قرآناً من تأليف عرب الجاهلية.

٣-ثم لو كانت المعارضة حاصلة وإنما منعت بالصرفة لما أصبح الكلام معجزاً ولما كان له فضل على غيره في نفسه، قال الباقلاني: القول بالصرفة يعني ان الكل قادرون على الإتيان بمثله وإنما يتأخرون لعدم العلم بوجه ترتيب لو علموه لوصلوا إليه، وهذا مستحيل عليهم.

٤- فساد القول بالصرفة يضاف إليه فساد آخر وهو: زوال الإعجاز بزوال زمن التحدي، وقد زال زمن التحدي وبقي الإعجاز القرآني موجوداً، مما يدل أنه معجز.

الإعجاز العددي أو الرقمي في القرآن الكريم

الإعجاز العددي يتمثل في موافقات في تكرار بعض الألفاظ المتقابلة، التي يعجز أي مخلوق على مراعاتها مسبقا في صياغة نص بهذا الطول والتنوع، ويستحيل أن يتحقق بمجرد الصدفة المحضة، وهذا التوازن المتساوي بين الكلمات المتوافقة وغير المتوافقة، والتناسق المقصود بين الآيات، وبهذا التماثل العددي والتكرار الرقمي الموجود فيه يكون ملفتا للانتباه داعيا لتدبر آياته، ومن ذلك ورود ذكر الشياطين والملائكة (٨٨ مرة بصيغها المختلفة)، والدنيا والآخرة (١١٥ مرة) والسيئات والصالحات (١٨٠ مرة بمشتقاتها)، والقرآن والوحي والإسلام بمشتقاتها (٧٠ مرة لكلُ منها).وهذا اللون من ألوان الاعجاز قال به بعض الباحثين المحدثين وقد تبين أن القرآن لم يأت بشي إلا وله مقدار وحساب يعجز عن الإتيان به أي مخلوق مما يدل أن الذي جاء به هو العليم الخبير، هذا ما نجده في قصة أصحاب الكهف، فجميعنا يعلم بأن أصحاب الكهف قد لبثوا في كهفهم ٣٠٩ سنوات. وهذا بنص القرآن الكريم، والسؤال: هل هنالك علاقة بين عدد السنوات التي لبثها أصحاب الكهف، وبين عدد كلمات النص القرآني؟

وبما أننا نستدلّ على الزمن بالكلمة فلا بد أن نبدأ وننتهي بكلمة تدل على زمن. وبما أننا نريد أن نعرف مدة ما (لبثوا) إذن فالسرّ يكمن في هذه الكلمة. فلو تأملنا النص القرآني الكريم منذ بداية القصة وحتى نهايتها، فإننا نجد أن الإشارة القرآنية الزمنية تبدأ بكلمة (لبثوا) وتنتهي بالكلمة ذاتها، أي كلمة(لبثوا). والعجيب جداً أننا إذا قمنا بعدّ الكلمات مع عد واو العطف كلمة مستقلة، من كلمة (لبثوا) الأولى وحتى كلمة (لبثوا) الأخيرة، فسوف نجد بالتمام والكمال ٣٠٩ كلمات بعدد السنوات التي لبثها أصحاب الكهف!!!، إذن البعد الزمني للكلمات القرآنية بدأ بكلمة (لبثوا) وانتهى بكلمة (لبثوا)، وجاء عدد الكلمات من الكلمة الأولى وحتى الأخيرة مساوياً للزمن الذي لبثه أصحاب الكهف.

وقال بعضهم: إن عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر.

. إياك نعبد وإياك نستعين تتألف من ١٩ حرفا.

. عندما نقرأ سورة الفاتحة تلتقي الشفتان مع بعضهما ١٩ مرة أغلبها في حرف الميم.

. وردت كلمة الرحمن في القرآن الكريم ٥٧ أي ٥٧ ÷ ١٩ = ٣ من مضاعفاته.

. وردت كلمة الرحيم في القرآن الكريم ١١٤ مرة كذا عدد سور القرآن وهذا الرقم يقبل القسمة على العدد ١٩ أي ١١٤ ÷ ١٩ = ٦ أي من مضاعفات العدد ١٩

. غزوة بدر كانت على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة في رمضان.

. عدد خزنة جهنم ١٩.

. سورة العلق تتكون من ١٩ آية.

. عدد الكلمات بين البسملتين في سورة النمل ٣٤٢ كلمة أي ١٩ × ١٨ = ٣٤٢

. ورد حرف القاف في سورة ق ٥٧ مرة أي ١٩ × ١٥ = ٥٧ أي من مضاعفاته.

. ورد حرف القاف في سورة الشورى ٥٧ مرة أيضا.

. ومجموع تكرار حرف القاف في هاتين السورتين ١١٤ مرة أي ١١٤÷ ١٩ = ٦ أي من مضاعفات العدد ١٩

. إذا رصفنا أرقام آيات سورة الفاتحة نتج عندنا أنها من مضاعفات الرقم ١٩ أي:

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ إذن الرقم هو ٧٦٥٤٣٢١ ÷ ١٩ = ٤٠٢٨٥٩

. عدد حروف سورة الفاتحة ١٣٩ حرفا إذا عكسنا هذا الرقم يتبين لنا أنه من مضاعفات الرقم ١٩ أي ٩٣١ ÷ ١٩ = ٤٩

الإعجاز العددي في الرقم سبعة من سورة الفاتحة:

هي السبع المثاني ، نزلت من فوق سبع ، تنجي من أبواب النار السبع ، وذكر فيها كل الأحرف العربية إلا سبع.

الأحرف العربية السبعة التي لم تذكر في سورة الفاتحة هي : ث ، ج ، خ ، ز ، ش ، ظ ، ف قال بعض العلماء: ربما دل حرف الثاء على الثبور ، وحرف الجيم على جهنم ، وحرف الخاء على الخزي ، وحرف الزاي على زفير جهنم، وحرف الشين على شهيق جهنم ، وحرف الظاء على لظى، وحرف الفاء على الفراق والنفاق. آيات فاتحة الكتاب سبع وأبواب النيران سبع فمن فتح لسانه بقراءتها غلقت عنه الأبواب السبع.

تتألف كلمة الفاتحة من سبعة أحرف. وقد ذكرنا بأنه تم ذكر ٧ من أسماء الله الحسنى في سورة الفاتحة ومجموع حروف هذه الأسماء ٤٢ حرفا وهي من مضاعفات العدد سبعة أي ٤٢ ÷ ٧ = ٦

قال ﷻ:﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾.

وقد استنبط العلماء من هذه الآية عدة أمور:

١. اسم من أسماء سورة الفاتحة وهو: السبع المثاني.

٢. اسم من أسماء سورة الفاتحة وهو: القرآن العظيم.

٣. اشتملت هذه الآية على سبع كلمات.

٤. تكونت كلمة المثاني في هذه الآية من سبعة أحرف.

٥. المشار إليه في هذه الآية هي سورة الفاتحة لاشتمالها على سبع آيات.

٦. رقم هذه الآية من سورة الحجر ٨٧ أي ثلاثة أضعاف كلمات سورة الفاتحة ٨٧ ÷ ٢٩ =٣

٧. رقم هذه الآية من سورة الحجر ٨٧ أي ثلاثة أضعاف عدد الأحرف المقطعة في أوائل السور

. وذكر العلماء في معنى كلمة السبع المثاني في اسم سورة الفاتحة:

قيل: لأنها سبع آيات.

قيل: لأنها تثنى أي تعاد في الركعة تلو الركعة.

قيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذخرا لها ونورا.

وفي الختام أشير إلى الوسام الأعظم لسورة الفاتحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات).

ولكن لا ينبغي أن يتكلف المسلم استخراج بعض العلاقات الرقمية في كتاب الله بدافع الحماسة، وكتاب الله فيه من المعجزات والحقائق ما هو ظاهر بلا تكلف، فقد أخبرنا القرآن عن أحداث من الغيب ماضية، وأحداث من الغيب آتية.

والإعجاز العددي أمر لم يتطرق لبحثه السابقون من العلماء، وقد انقسم الناس اليوم فيه بين مثبت ونافٍ، ونحن نذكر بعض الضوابط التي لا بد منها للخوض في هذا الأمر.

أولاً: موافقة الرسم القرآني.

ثانياً: أن يكون استنباط الإعجاز العددي موافقاً للطرق الإحصائية العلمية الدقيقة دون تكلف أو تدليس.

ثالثاً: الاعتماد على القراءات المتواترة، وترك القراءات الشاذة.

رابعاً: أن يظهر وجه الإعجاز في تلك الأعداد بحيث يعجز البشر عن فعل مثلها لو أرادوا.

والذي نراه هو أن أكثر ما كتب في الإعجاز العددي لا ينضبط بهذه الضوابط. والله أعلم.